أنماط التعلم وأساليب التفكير

عزيز محمد أبو خلف

تطورت أبحاث المعرفة في العصر الحديث، وظهرت نظريات متعددة تبحث في التفكير والتعلم. وقد توسعت هذه الأبحاث حتى دخلت في أدق التفاصيل التي تهم المتعلم والمعلم معاً. فلم يعد الأمر يقتصر على ضرورة وجود معلم يلقي بالمعلومات على طلاب متلقين يستمعون ويدونون الملاحظات، وبعد ذلك يتقدمون لاختبارات تظهر مدى استيعابهم لما تلقوه، وينتهي الأمر. التعلم، بحسب علم المعرفة، هو عملية استيعاب المعلومات الجديدة وربطها بالمعرفة القديمة، ويحصل عن طريق تعديل في بنية الشبكة العصبية بالدماغ، أي من خلال ترابط الخلايا العصبية بعضها مع بعض، بتغير نقاط الاشتباك العصبي. تعاملنا مع الواقع نترجمه إلى نماذج عصبية تعبر عن الأفكار والذاكرة المتعلقة بذلك.

توسعت الدراسات والأبحاث المعرفية وخرجت نظريات تقول بوجود أساليب للتفكير وأنماط للتعلم لدى كل فرد، وان الفرد الواحد قد يفضل أسلوباً من التفكير والتعلم على غيره، وأنه لا بد له أن يتعرف على باقي الأساليب ليتمكن من تفادي نقاط الضعف لديه أثناء التعلم. ولا يقتصر الأمر على المتعلم، بل هناك أساليب للتعليم والتدريس، ولا بد لهذه الأساليب أن تتوافق مع أساليب المتعلمين من أجل أن تكتمل العملية التعلمية وتسير بنجاح.

أنماط التعلم

أساليب التعلم تعبير عن الطرق المفضلة لدى المتعلم لاستقبال المعلومات ومعالجتها. وهي مؤشر على مدى تفاعل المتعلم مع البيئة التعليمية التي يتعامل معها، كما تعبر عن مدى استجابة الطالب لما يتعلم. توجد نظريات كثيرة حول أساليب التعلم، وهناك العديد من التقسيمات. هذه الأساليب أو الأنماط ليست سمات ثابتة، بل هي أقرب إلى أن تكون من السمات المائعة، التي تتغير مع الزمن، وتعتمد على الظروف والسياق التعليمي. هذه الأنماط تدل المتعلم على نقاط القوة والمساحات التي ينبغي أن يهتم لها، لأن المتعلم يركز في العادة على جوانب معينة ويهمل أخرى، لذلك ينبغي أن ينتبه للبدائل الأخرى. من هنا ينبغي على المؤسسات التعليمية أن تعمل على إجراء موازنة أثناء التدريس والتعلم لتوفير ما يحتاجه الطالب ليتعلم، أي توفير كل ما يمكن من طرق التعلم والأدوات المساعدة على ذلك. وهذا راجع إلى أن المدرس يستخدم طرقاً متعددة في توصيل المعلومات، والطلاب لديهم أساليب متعددة يفضلونها في التعلم.

ظهرت العديد من النماذج التي تبين الأنماط التي يتعلم بها الأفراد، وهي تتنوع في تقسيماتها لكنها تلتقي في النهاية في الكثير من السمات. نعرض هنا للنموذج العام الذي يقسم أنماط المتعلمين إلى ثلاثة أقسام هي:

النمط السطحي: الدافع للتعلم خارجي مثل الخوف من الفشل، أو إرضاء الوالدين، أو الحصول على شهادة ينال بها وظيفة. يعتمد المتعلم السطحي على الحفظ لاجتياز الاختبار، ويبحث عن الطرق التي يعرف بها أسئلة الامتحان، مثل تلميحات المدرس والأسئلة السابقة. كما انه يميل إلى الروتين في التعلم.

النمط العميق: دافع المتعلم هنا داخلي ذاتي، فهو يفهم ما يتعلم ويربطه بغيره من المواد، كما يربطه بالحياة العملية. يلخص المتعلم العميق ويشرح لنفسه، ويطبقه عملياً، كما يبحث عن المعنى الواقعي لما يتعلمه، ويربط ما بين خبراته ويعمل على تكاملها.

النمط التحصيلي: يسعى المتعلم التحصيلي للحصول على أعلى درجة، ويطمح لما وراء الشهادة الأولى كالدكتوراه، والتأثير في المجتمع، كما يستغل الزمان والمكان لهذا الهدف بشكل فعال، فلا يضيع وقته سدى.

أساليب التفكير

في تسعينات القرن العشرين قال ستيرنبيرغ بنظرية التحكم الذاتي العقلي أو أساليب التفكير. هذه النظرية تشبّه تفكير الأفراد بتفكير الحكومات من حيث الوظيفة والشكل والمستوى والمجال والنزعة، ولكل بعد من هذه الأبعاد مستويات هي كالتالي:

الوظيفة: تشريعي، تنفيذي، قضائي.
الشكل: حاكمي، هرمي، أقلي، فوضوي.
المستوى: عالمي، محلي.
المجال: خارجي، داخلي.
النزعة: تحرري، محافظ.

وبهذا يتشكل ١٣ نمط من أنماط التفكير تميز الأفراد بعضهم عن بعض في طريقة التفكير. الجدول رقم ١ يخلص أهم ما يتميز به كل أسلوب.

الجدول ١: أساليب التفكير بحسب نظرية ستيرنبيرغ

التشريعي	ابتكاري، مجدد، يصمم ويخطط. مثل العالم، الأديب، الفنان.
التنفيذي	يتبع التعليمات، ينفذ ما يصممه غيره، واقعي، عملي، يتبع النظام. مثل المحامي والشرطي والمفتي والبناء.
القضائي	يقيم أداء الآخرين، ينفذ ويقدم الاقتراحات، لديه تخيل عالي. مثل القاضي والناقد ومقدم البرامج والموجه.
الحاكمي	يركز على شيء واحد، حاسم، لا يدرك عاقبة الأمور، يميل إلى التبسيط والتسامح والمرونة، قدرته على التحليل والمنطق ضعيفة.
الهرمي	يؤدي أشياء كثيرة في وقت واحد، يميل إلى التعقيد، منظم، يدرك الأولويات والعواقب.
الأقلي	قلق ناحية الأولويات، لديه تناقض في الأهداف وأدائها، لا يستمر لنهاية الطريق المؤدي إلى الهدف.
الفوضوي	يعالج بعشوائية وأهدافه عشوائية، غير منظم، يكره النظام.
العالمي	عمومي، يهتم بالإجمال ولا يخوض في التفاصيل، غير نمطي.
المحلي	يهتم بالتفاصيل، ويميل إلى المواقف العملية.
الداخلي	انطوائي، يركز على الأمور الداخلية، غير اجتماعي.
الخارجي	يميل إلى التعامل مع الآخرين، يركز على الأمور الخارجية، منبسط في التعامل.
التحرري	يحب التغيير إلى مداه، يميل إلى غير المألوف، يميل إلى تغيير القوانين.
المحافظ	لا يحب التغيير، يتجنب الغموض، يحرص على النظام، يتبع المحاولة والخطأ.